

الخ ، ولاجل ان يتحقق هذا يمكنه الاستفادة بمختلف مناهج البحث ،
كالمنهج التاريخي ، والمنهج الانثروبولوجي ومنهج دراسة الحالة
حيث تشتراك هذه المناهج جميعا في مساعدة الباحث على فهم الظواهر
الاجتماعية على اساس علمي مدروس^(٧) .

ان تعلم مناهج البحث العلمي لا يتاتى على نحو سليم الا بممارسة
البحوث العلمية ذاتيا مع الاستعانة بتوجيهه واسراف من جانب اساتذة
اكفاء . لأن الباحث او الطالب يحتاج الى مران وتدريب ليتحول النظر
الى عمل ، وليترجم الافكار الى وقائع^(٨) .

يميز بعض الباحثين بين طريقة البحث العلمي
(Scientific Research) وبين طريقة العلمية التكنيكية (Technical Scientific).
من جانب العلماء والتكنيين في المجالات العلمية التطبيقية ، وهي تختلف
عن طريقة البحث العلمي في انها لا تستخدم للوصول الى اكتشافات جديدة
او حلول لمشكلات معينة ، وهي تتطلب دقة ومهارة في اتباع خطوات للعمل
سبق ان درست وجربت وثبتت صلاحيتها في الاعمال المتصلة بهذه المجالات
التطبيقية .

الاتجاهات العلمية المتضمنة في التفكير العلمي والطريقة العلمية :

ان الشخص ذو الاتجاهات العلمية يتصف بما يلي :-

١ - اتساع افق العقل وتفتح العقلية :

(7) Ackaff, R.L. The Design of social Research, Chicago Press, 1953 Chapter, 1-3.

(٨) د . جابر عبد الحميد جابر ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس
(القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٣) ، ص ١٠ - ٣٠

مستلزم الطريقة العلمية في البحث من الباحث تحرر عقله وتحرر
تفكيره من الجمود والتجفيف ، والانسجام إلى آراء الآخرين وتقدير آرائهم
واحترامها حتى لو كانت مشارضة مع آرائه الشخصية ، وتحرر التفكير
من القيود ومن الاعتقادات الخاطئة ، والخرافات التي تفرض عليه انماط
غير سليمة من التفكير . وعليه أن يتقبل النقد الموجه إلى آرائه من قبل
الآخرين ، وأن يكون على استعداد لتفصيل أو تعديل الفكرة أو الرأي إذا
 ثبت خطأها في ضوء ما يستجد من حقائق وادلة صحيحة ، والاعتقاد في
نسبة الحقيقة العلمية ، وان الحقائق المتوصل إليها في البحث العلمي
ليست مطلقة ونهائية بل أنها تخضع للاختبار والتجربة والمراجعة المستمرة
لامكانية تعديلها أو تغييرها في ضوء الظروف الجديدة ،^(٩) .

٢ - حب الاستطلاع والرغبة في التعلم :

ويتمثل ذلك في رغبة الباحث في التحري عن اجابات وتفسيرات
مقبولة لتساؤلاته عما يحدث أو يوجد حوله من احداث وأشياء وظواهر
مختلفة ودقة الملاحظة والدقة في العمل والرغبة المستمرة في زيادة معلوماته
واستخدام مصادر متعددة لهذا الغرض كالاستفادة من خبرات الآخرين .

٣ - البحث وراء المضيقات الحقيقة للإحداث والظواهر :

« الاعتقاد بان للحدث او الظاهرة مضيقات ووجوب دراسة الاحداث
والظواهر التي يدركها الباحث والبحث عن ماضيتها الحقيقة ، وعدم
الاعتقاد في الخرافات وعدم الاقتناع بالتفسيرات الفاضحة ، وعدم الاعتماد
عليها في اطارها العلمي او الاحصائي ، وعدم الاعتقاد بضرورة وجود

^(٩) ديو بولد ب . فان دالين ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ،
ترجمة محمد نوبل سليمان الخضرى الشيخ (القاهرة : مكتبة
الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩) ص ٣١ - ٣٦ .

علاقة سببية بين / حدثين معينين مجرد حدوثهما في نفس الوقت او التسلسل
الزمني في حدوثهما » (١٠) .

٤ - توخي الدقة وكفاية الادلة للوصول الى القرارات والاحكام :
يجب ملاحظة الدقة في جميع الادلة واللاحظات من مصادر متعددة
موثوق بها وعدم التسرع في الوصول الى القرارات والاحكام مالم تدعها
الادلة واللاحظات الدقيقة والكافية ، الاعتقاد بان ما يجمعه من ادلة
ولاحظات قد لا يكون لها نفس القيم او الاوزان عند استخدامها للوصول
إلى القرارات او الاحكام ، استخدام معايير الصحة والموضوعية وألملاحة
والكافية في تقدير ما يجمعه من ادلة ولاحظات .

٥ - الاعتقاد باهمية الدور الاجتماعي للعلم والبحث العلمي :
« الایمان بدور العلم والبحث العلمي في ايجاد حلول علمية لما تواجهه
المجتمعات من مشكلات وتحديات في مختلف المجالات الاجتماعية والتربية
والاقتصادية ... الخ ، وتوجيه العلم والبحث العلمي عموما الى ما يحقق
سعادة ورفاهية البشر » (١١) .

بعض الخصائص والمميزات العامة للمنهج العلمي :
١ - ان المنهج العلمي يعتبر افضل اداة تساعد الانسان في توسيع
آفاق معرفته وتزييد من ثروته من المعلومات الموثوق بها والمحبطة . فالمنهج
العلمي هو طريق الباحث للوصول الى المعرفة والحقائق ، وكذلك وسيلة
للحصول على هذه الحقائق وتلك المعرفة .

٢ - على الرغم من ان الحقائق التي نصل اليها عن طريق المنهج

(١٠) بفردرج ، فن البحث العلمي ، ترجمة زكريا فهمي (القاهرة : دار
النهضة العربية ، ١٩٦٣) ص ١٠ .

(١١) احمد خيري ، هدف التفكير العلمي بين النظرية والتطبيق ، صحيفـة
التربية ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٣٣ - ٣٥ .

العلمي قابلة للتغير بظهور عوامل جديدة ، فان المنهج الذي يتبغ كطريقة للحصول على تلك الحقائق لا يتغير تبعاً لتغير الحقائق نفسها . وهذا لا ينافي ان المنهج العلمي قابل للتطوير اذا ثبت عدم صلاحيته او وجد ما يستدعي تطويره وتعديلاته .

و الواقع ان المناهج العلمية لابد ان تعدل ، بل ~~و تتجزأ~~ من جيل الى جيل ، اذا ما ثبت عدم صلاحيتها ، لأن التطبيق العلمي في ~~الخلف~~ ^{لقد} باستمرار ، والمنهج وبالتالي لابد ان يعدل على الدوام . والتىجة اذن ان المناهج العلمية في تغير ، وهذا التغير له علاقة بتقدم العلم و حاجاته .

٣ - ومن خصائص المنهج العلمي ايضاً انه يبدأ في الغالب باللاحظة او بالتجربة ، اي يستند الى ظواهر وحقائق يمكن لكل شخص مدرب ان يلاحظها في كل زمان ومكان^(١٢) .

وان تطبيق المنهج العلمي يستلزم ان ينتقل الباحث من الاشياء الى المعاني وان يلاحظ جميع الظواهر التي يدرسها ، وان يتتجنب الوصول الى قرار قائم على معرفة الاشياء عن طريق الاراء الشائعة^(١٣) .

٤ - ومن خصائص المنهج العلمي ، ان يجمع بين الاستنباط والاستقراء ومن ثم بين الحس والادراك . وعندما يستخدم الانسان المنهج العلمي فإنه يتحرك بين الاستنباط والاستقراء وينهمك فيما يعرف (بالتفكير التأملي) وتوضح عملية التفكير التأملي هذه كيف يعمل الاستقراء والاستنباط كسلالحين للعلم تصل بهما الى الحقيقة ، والاستقراء يمهد لتكوين الفروض والاستنباط يكتشف النتائج المنطقية التي ترتب عليها لكي يستبعد الفروض التي لا تتفق مع الحقائق ثم يعود الاستقراء ثانية ليسهم في تحقيق الفروض

(١٢) ابراهيم ابو لغد ولويس كامل مليكة ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(١٣) اميل دوركهایم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع (القاهرة : النهضة

المصرية ، ترجمة محمود قاسم ، ١٩٧١ ، ص ١١٦ .

الباقة . وهكذا فالباحث يتقل باستمرار بين جمع الحقائق ومحاولة اصدار تعميمات (فرض) لتفسير هذه الحقائق واستنباط نتائج الفرض ، ثم البحث عن مزيد من الحقائق لاختبار صدق الفرض ، حتى يصل باستخدام كل من الاستقراء والاستنباط الى معرفة يمكن الثقة بها (١٤) .

٥ - ومن مميزات المنهج العلمي أيضا ، المرونة والقابلية للتعدد والتنوع بتنوع العلوم والمشاكل . وكما يقول الدكتور « عبد الرحمن بدوي » :

« ان عدد المناهج لا يكاد ينحصر ، ففي داخل كل علم عدة مناهج ، بل انه من المستحسن أحيانا أن تستعمل مناهج خاصة لمسائل جزئية في داخل العلم الواحد » (١٥) .

ولكن بالرغم من تعدد المناهج وتنوعها فان هناك عددا من السمات العامة المشتركة التي توحد بين هذه المناهج المتعددة ، وكذلك يمكن رد هذه المناهج الى مناهج نموذجية مكملة ، تفرع عليها المناهج الجزئية الاخرى كالمنهج الرياضي ، والمنهج التجريبي ، والمنهج الوصفي ، والمنهج التاريخي .. الخ .

المنهج العلمي وتطبيقه في مجال العلوم والدراسات الاجتماعية :

في ضوء ما تقدم عن المنهج العلمي وخصائصه وطبيعته ومميزاته نجد انه ، لا يمكن أن يقتصر في تطبيقاته على العلوم الطبيعية فحسب ، بل هو قابل للتطبيق في مجال العلوم الاجتماعية ، كالاجتماع والاقتصاد والتربية

(١٤) ديو بولد فان دالين ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ترجمة محمد نبيل نوفل مصدر سابق ص ٢٠-٢٥ .

(١٥) عبد الرحمن بدوي ، المصدر السابق ، ص ١٨ - ١٩ .

والتأريخ ٠٠٠ النه ، ولو على الأقل في مبادئه واسمه العامة وخطوطاته الأساسية ٠ وهذا لا ينافي أن الطريقة العلمية أو المنهج العلمي الذي يطبقه العالم الاجتماعي قد يختلف في بعض جوانبه عن المنهج الذي يطبقه العالم في العلوم الطبيعية ، وكذلك يختلف عنه في درجة دقتها ، وهذا الاختلاف شيء طبيعي يعود لاختلاف المشاكل واختلاف الظواهر التي يدرسها كل منها ٠

وهناك صعوبات وعقبات تقف دون التطبيق الكامل الدقيق للمنهج العلمي في العلوم الاجتماعي والسلوكية ٠ ومن هذه الصعوبات يمكن الاشارة بصورة موجزة جدا إلى ما يلي :

آ - تمثل الصعوبة في تعقيد مادة الدراسة : فالظواهر الاجتماعية أو المشاكل الاجتماعية التي تدرس في العلوم الاجتماعية تعتبر أشد تعقيداً أو أكثر تشابكاً من تلك التي تدرس في العلوم الطبيعية ، وأصعب في ضبطها تجريبياً وفي قياسها قياساً موضوعياً ، وقد أشار دور كهaim إلى هذه الصعوبة التي تقف دون التطبيق الكامل للطريقة التجريبية في مجالات الدراسات الاجتماعية ٠

ب - صعوبة ملاحظة الظواهر الاجتماعية :

حيث أن من أهم خصائص المنهج العلمي هو اعتماده على الملاحظة الدقيقة والمنظمة ٠ ولكن مما تجدر الاشارة إليه بهذا الخصوص أن تحقيق مثل هذا النوع من الملاحظة لا يتّأتى بدرجة عالية من الدقة في الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالانسان وذلك لأسباب وعوامل من أهمها :

صعوبة اخضاع الملاحظة لنوع دقيق من الضبط كالضبط الموجود في التجارب العملية ، لأن الكائنات البشرية متغيرة ومتختلفة في أشخاصها وفي سلوكها وفي مدى استجابتها للمؤثرات المختلفة ، وهذا مما يجعل من الصعب الحصول على نتائج مضبوطة ودقيقة ٠

ح - تعدد الوصول الى قوانين اجتماعية لاستحالة اجراء التجارب
في الدراسات الاجتماعية :

ولكن يمكننا القول انه من الممكن التغلب على معظم الصعاب
التي تعترض الباحث الاجتماعي ، واستخدام التجارب المباشرة وغير
المباشرة في الدراسات الاجتماعية للتوصل الى قوانين تميز بالدقة خاصة
وان مبدأ الحتمية متوفّر في الميدان الاجتماعي كما هو متوفّر في الميدان
الطبيعي ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الموضوعية المطلقة وان كانت
عصيرة التحقيق الى حد ما في البحوث الاجتماعية الا ان المعارضين يبالغون
في تقدير اثر العوامل الذاتية في الدراسات الاجتماعية ، وهناك عدد كبير
من النظريات والقوانين الاجتماعية التي يمكن التوصل اليها ، وهي تقوم
على اساس موضوعي سليم ٠

ومن المتوقع بعدم تقدم وسائل القياس في العلوم الاجتماعية ان تخفي
معظم هذه الاعتراضات وان تاريخ العلم لشاهد على ذلك ٠ حيث في الماضي
كانت نفس هذه الانتقادات او الاعتراضات توجه للعلوم الطبيعية ، الا ان
كثيرا من الموضوعات في العلوم الطبيعية التي لم يكن في الامم القدرة دراستها
في الماضي دراسة علمية سليمة قد يمكن اخضاعها للبحث العلمي الدقيق⁽¹⁶⁾

واخيرا نود ان نشير الى ان المنهج التجاري في البحث يساعدنا في
فهم الظواهر الاجتماعية بتبسيطها وتحليلها ، الا اننا في حاجة في الوقت
ذاته الى ان ننظر الى الظواهر نظرة شاملة متكاملة ، ووسيلة لتحقيق
هذه النظرة التكاملية هي الاعتماد على مناهج البحث الاجتماعي الأخرى
كمنهج دراسة الحالة والمنهج التاريخي وكل ما يساعدنا على فهم الظواهر

(16) Lundberg G. Social Research (New York :
Longman 1942), Chapter.I.

الاجتماعية في اطارها المجالى الثقافى بالإضافة او الى جانب المنهج
التجريبى^(١٧) .

ان وجهات النظر التي تناول المناهج المستخدمة في البحث الاجتماعي
تنوع الى حد كبير وكان «كومت» يعتقد ان مناقشة المناهج لا يمكن ان تفصل
عن دراسة الظواهر وهي الموضوع التي تستخدم هذه المناهج في بحثها ،
وقد اصطنع (كومت) المنهج الوضعي^(١٨) ، الواقع ان التناقض السائد
الآن بين الاتجاهات الوضعية والمتمالية كان نتيجة لاختفاء كومت نفسه .
فالاتجاه الوضعي يستند الى الاتجاه التجريبى بينما يستند الاتجاه المتمالي
إلى دعائم معرفية قوامها العقل^(١٩) .

ان مناهج البحث في علم الاجتماع تدرس في ضوء تصورين : اولهما
تصور استقراري لعناصر البناء المنهجي في الاتجاهات المعرفية والمنهجية
وطرق وادوات البحث واساليب التحليل وتنظيم البيانات والصور المنطقية
لتفسيرها . وثانيهما : تصور دينامي لعملية البحث الاجتماعي كما تبدو في
صورتها الشاملة ومراحلها المتتابعة منطقياً ومساندة وظيفياً والمحقة لهدف
إقامة دعائم البناء النظري كما يتمثل في المفاهيم والقضايا والنظريات^(٢٠) .

وقد التزم بعض الباحثين بفكرة ان هناك نوعين من المناهج احدهما
كيفي يتضمن استخدام المعطيات التاريخية المقارنة ، ودراسة الحالات
وصياغة الانماط التصورية ، وثانيهما كمي يقوم على العلاقات السيسية ،

(١٧) حامد عمار : المنهج العلمي في دراسة المجتمع ، ص ١٠ - ٢٥ .

(١٨) نيكولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة عودة وأخرورن
(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٤) ص ٥٠ .

(١٩) د . محمد عارف ، المنهج في علم الاجتماع (القاهرة : مكتبة الأنجلو
المصرية ، ١٩٧٥) ص ٩ .

(٢٠) نفس المصدر ، ص ٣ - ٢ .

واستخدام القياس في الدراسات السوسنومترية (٢١) .

ويذهب آخرون إلى تصنيفات أخرى للمناهج ، فتصنف إلى مناهج انثروبولوجية تقابل ما يسمى بالمنهج الكيفي ومناهج كمية تقابل ما يسمى بالمنهج السوسنولوجي (٢٢) .

ويذهب فريق ثالث إلى اعتبار المنهج الانثروبولوجي واحداً من مناهج عديدة هي المنهج الفلسفية والتاريخي ، والتجريبي ، ومنهج دراسة الحالة ، ومنهج المسح الاجتماعي ، بينما يعتقد آخرون أن المنهج السوسنولوجي قائم بذاته يتميز عن البحث المسحي والوصفي على المدى الطويل والمنهج التاريخي والتجريبي ، (٢٣) .

ان « المنهج العلمي واحد » ولكن مستويات تطبيقه مختلفة نسبياً بين العلوم الاجتماعية والأنسانية ، إذ ان سمات المنهج العلمي ودراسة الظاهرة دراسة دقيقة ، كلما استطعنا ترجمة تلك الدقة إلى رموز الحساب أو العجر أو الهندسة كلما حققنا الدقة المطلوبة ، (٢٤) .

(٢١) المصدر السابق نفسه .

(٢٢) راجع على سبيل المثال : مقالة انكلس في كتاب دراسة علم الاجتماع ، ترجمة د . محمود الجوهرى وأخرون ، دار المعارف ، ١٩٧٤ ، ص ٥٤ . كذلك راجع د . محمد عبده محجوب ، الهجرة والتغير البشري في المجتمع الكويتي - وكالة المطبوعات - بدون تاريخ - ص ٢ .

(٢٣) د . عبدالباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، ص ١٨٩ - ١٩٤ .

(٢٤) د . عاطف أمين وصفى ، الانثروبولوجيا الثقافية ، ص ١٥٧ - ١٦١ .